

محتمشى زايد

نوم قليل وفترة انتظار ثملة بالدفء تحت الغطاء الثقيل . النافذة تنضج بضياء خفيف ولكنه يتجلى بقوة فى ظلام الحجرة الدامس . اللهم إني أنام بأمرك وأصحو بأمرك وأنت مالك كل شىء . ها هو أذان الفجر يفتتح يومى الجديد ، ويسبح فى بحر الصمت الشامل هاتفا باسمك . اللهم عونك لهجر حنان الفراش والخروج إلى قسوة برد هذا الشتاء الطويل . حبيبي يغط فى نومه فى الفراش الآخر فلا تلمس طريقي فى الظلام أن أوقظه . ما أبرد ماء الوضوء ولكنى أستمد الحرارة من رحمتك . الصلاة لقاء وفناء . من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه . كل يوم لا أزداد فيه علما يقربني إلى الله فلا بورك لى فى شمس ذلك اليوم . أنتزع نفسى من تأملاتى أخير لأوقظ النيام . أنا منبه هذه الأسرة المرهقة . حسن ألا تخلو من نفع هذا العمر . طاعن فى السن متين الصحة بفضل الله . لا بأس أن أضىء المصباح الآن . وأنقر باب الحجرة بأصبعي هاتفا «فواز» حتى أسمع صوته وهو يقول «صباح الخير يا أبى» . أرجع إلى حجرتى وأضىء مصباحها أيضا فأرى حفيدى مستغرفا فى نومه لا يبدو منه إلا وسط وجهة بين حافتي الغطاء والطاقيه . ما باليد حيلة . على أن أخرجه من دنيا الراحة إلى الجحيم . وأهمس بقلب

مفعم بالعطف عليه وعلى جيله «علوان . . اصح». ويفتح عينيه العسليتين، ويتشاءب، ويقول باسم «صباح الخير يا جدى». ويعقب ذلك حركة أقدام، ونشاط ألسنة. وحياء تدب ما بين الحمام وحجرة السفرة. وأستمع إلى قرآن الصباح فى الراديو حتى تنادينى هناء زوجة ابنى «السفرة جاهزة يا عمى». أهم ما بقى لى فى مسرات الدنيا الطعام. ما أكثر نعم الله فى دنياه. اللهم جنبنى المرض والعجز. لا أحد ثمة للعناية بالآخرين. ولا فائض مال للتمريض. الويل لمن يسقط. يجمعنا فى الصباح المدمس وحده أو الطعمية. هما معا أهم من قناة السويس. ثقيا لعهد البيض والجبن والبسطرمة والمربى، ذلك عهد بائد، أوق. ١. أى قبل الانفتاح. الأسعار جنت، كل شىء قد جن. ما زال فواز ملائد للبدانة، وهو يستعين بالخبز، ومثله هناء ولكنها تسرع نحو الكبر قبل الأوان. ابن خمسين يبدو اليوم كأنه ابن ستين. وقال فواز بصوته الجهير.

- سنعمل أياما صباحا ومساء بالوزارة فأضطر إلى الانقطاع عن الشركة . .

ساورنى قلق. إنه وزوجه يعملان فى شركة قطاع خاص. ودخلهما ومعاشى ومرتب علوان تفى بالكاد بضرورات الحياة فما الحال إذا استغنت عنه الشركة؟!!

فقلت برجاء:

لعلها أيام قليلة.

وقالت هناء :

- سأقوم ببعض عملك وأتيك بما لم ينجز منه وأشرح لمدير القسم ظروفك . .

فقال فواز متسخطا :

- هذا يعنى أن أعمل من الصباح حتى منتصف الليل .

أتمنى دائما ألا نثير غبار الهموم على المائدة ولكن كيف؟ . وقال
علوان :

- والد أستاذتى علياء سميح يسوق تاكسى فى أوقات فراغه
ويربح أكثر طبعاً .

فسأله والده :

- هل يملك التاكسى؟

- أظن ذلك .

- ومن أين لى بشراء واحد؟! ، وهل كان أبو أستاذتك غنيا أو
مرتشياً؟

- كل ما أعرفه أنه رجل محترم .

فقلت :

- اختار طريقاً شريفاً فى النهاية .

فقال علوان ضاحكاً :

- لعلى أختار طريقاً مثله فى يوم ما .

فسألته هناء بجديّة :

- ماذا ستفعل؟

- سأكون عصابة للسطو على البنوك!

فقال فواز بامتعاض:

- خير ما تفعل.

ومسحت الأطباق مسحاً، ومضت بها هناء إلى المطبخ، وما لبثوا أن ودعوني وذهبوا. وجدتنى فى الشقة الصغيرة وحيدا كالعادة. اللهم ارزقهم واكفهم شر الأيام. اللهم امنحنى شيئاً من نعمة القرب والولاية. لو تركت البيت على حاله لبقى ملهوجاً فى وفوضى شاملة حتى المساء. أفعل ما أستطيع فى حجرة نومى، وحجرة المعيشة حيث أمضى وحدتى مستعماً للقرآن والأغاني والأخبار فى رحاب الراديو أو التلفزيون. ولو توجد حجرة رابعة لأمكن أن يقيم علوان فيها عشه. الحمد لله لا أعترض على قضائه. مر العارف أبو عباس المرسى بالقاهرة بأناس يزدحمون على دكان خباز فى سنة الغلاء فرق قلبه لهم، ثم وقع فى نفسه أنه لو كان معى دراهم لآثرت بها هؤلاء فأحس بثقل جيبه فأدخل فيه يده فوجد فيه جملة من الدراهم فأعطاها للخباز وأخذ بها خبزا فرقه، فلما انصرف وجد الخباز الدراهم زائفة فاستغاث عليه وأمسكه. فعلم أن ما وقع فى نفسه من الرقة اعترض على قضاء الله فاستغفر وتاب وسرعان ما تبين للخباز أن الدراهم صحيحة! ذلك هو الولى الكامل لا تتأتى الولاية إلا لمن يعرض عن الدنيا. شارفت الثمانين وما وسعنى أن أعرض عن الدنيا. هى دنيا الله

وهبته الخاطفة لنا فكيف أعرض عنها؟ . أحبها ولكن حب الحر
التقى العابد فلم ترض على بالولاية؟ . يهمنى القرآن والحديث كما
يهمنى الانفتاح وكما تهمنى لقمة المدمس بالزيت الحار والكمون
والليمون . ومن ذا يحيط برحمة الله الواسعة فقد أشير ذات يوم
من بعيد إلى المصباح فيضىء دون أن أمس مفتاحه . لم يبق لى من
أصدقاء العمر إلا واحد فرقت بيننا الشيخوخة . وحدة النفس
والمكان والزمان . وكفت العينان عن القراءة منذ عام . نومى قليل
جدا لا أخاف الموت . أرحب به حالما يجىء ولكن ليس قبل ذلك .
عندما افتتح الملك فؤاد المدرسة انتدبت لإلقاء كلمة المدرسين . يوم
مجد . أثلج صدرى بهتاف الأولاد «يعيش الملك يحى سعد» .
تغير الهتاف وتغيرت الأغاني . انفجر أخيرا الغلاء . من وراء
الزجاج المغلق أرى النيل والأشجار . بيننا أقدام وأصغر بيت فى
شارع النيل . قزم وسط العمائر الحديثة . النيل نفسه تغير وكأنه
مثلى يكابد وحدة وشيخوخة . لبسته حال واحدة ، فقد مجده
وأطواره ، لم يعد فى مقدوره الغضب . ما أكثر السيارات ، ما أكثر
الثروات ، ما أشد الفقر ، ما أكثر الأحباب الراحلين ! . يوم غائم
منذر بالمطر . فى مثله كانت تحلو الرحلة إلى حدائق القناطر .
أصدقاء العمر يجتمعون حول الدجاج المقلى والبطاطس
والشراب . والفونوغراف . أسمر ملك روى ، إن كنت اسامح
وانسى الأسية . كلهم هياكل عظيمة وضحكاتهم المترعة بالسرور
والأمان ذابت فى تضاعيف الفضاء . وقفوا ورائى صفا ليلة
الزفاف . ليلة كشف النقاب لأول مرة عن وجه فاطمة . خمس

سنوات مضت على آخر زيارة لقبرك . أى سرعة جنونية فى هذا
الزحام الذى لم تعرف له الأشجار مثيلا منذ غرست فى عصر
إسماعيل ! . المجنون يجرى بلا وعى نحو حادثة يرصده عندها
الأجل . قال رسول الله ﷺ (يا عبد الله ، كن فى الدنيا كأنك
غريب ، أو عابر سبيل ، واعدد نفسك فى الموتى) . صدق رسول
الله .

علوان فواز محتشمى

صباح يوم جديد . قديم . جديد قديم . جديد قديم . جديد قديم . جديد قديم .
قديم . جديد قديم . جديد قديم . دوخينى يا ليمونة . إن لم يوجد
قديم حسن فليوجد جديد سيىء . أى شىء . الموت نفسه تجديد .
المشى صحة واقتصاد . المفروض أنه طريق العشق والجمال فانظر
ما هو . آه يا قدمى ! آه يا حذائى ! تحملا وتصبرا هذا زمن التحمل
والتصبر . فى زمن النار الوحوش لا نسمة ترطب الفؤاد إلا أنت يا
حبيبتى . للأشجار الباسقة فضل وللنيل فضل أيضا لا ينكر . انظر
إلى أعلى إلى السحب البيضاء وروءس الأشجار لتنسى سطح
الأرض المجدور . ستلقى يوما شيطانا برثيا فتؤاخيهِ . إنى عبد
العقل الراجح والخلق الكريم والعينين السوداوين المظلتين
بحاجبين مقرونين . منذ الصغر منذ الصبا منذ الشباب فى البيت
القديم الضائع بين العمائر الشاهقة ، دسيسة بين الأغنياء . سيقتلنا
صاحب البيت ذات يوم . عجيب أن يخلد الحب فى ظل الفساد
المنتشر . هذا الطور المتهرىء هل تخلف عن غارة جوية؟ . وأكوام
القمامة رابضة بالأركان تحرس العشاق . صباح الخير أيها
المكدسون فى الباصات . وجوهكم تطل من وراء الزجاج المشروخ
مثل المساجين فى يوم الزيارة . والجسر المكتظ بالعابرين . السائرون

على عجل يلتهمون سندوتشات الفول بنهم وبلا تذوق . جدى
قال :

- اشتدى أزمة تنفرجى .

يا جدى المحبوب حتى متى تحفظ ونردد؟ إنه صديقى الأول .
ما أنا إلا يتيم . فقدت أبوى بعد أن فقدنا نفسيهما فى عمل يتواصل
من الصباح حتى المساء . موزعين بين الحكومة والقطاع الخاص فى
سبيل اللقمة والضرورة . لا نلتقى إلا خطفا .

- لا وقت للفلسفة من فضلك ، ألا ترى أننا لا نجد وقتا
للنوم؟! إن صادفت إحدى أخواتى عشرة فى حياتها الزوجية ندبت
أنا للإصلاح ذات البين! . زمن لا يجد فيه أحد عند آخر عوننا .
على كل أن يصارع وحسن حظه وحده . أخيرا ها هى شركة
الأغذية . إحدى شركات القطاع العام . اقرأ على مدخلها بالبنط
العريض «أدخلوها بلا أمل» ها هى محبوبتى فى إدارتنا العتيدة ،
العلاقات العامة والترجمة . تغدق على ابتسامة الحب . قلت لها
معاتبا .

- لو انتظرت دقائق لجئنا معا .

فقالتم بمرح :

- لظروف كان على أن أتناول فطورى فى البرازيل .

بفضل جدى جمعنا شركة واحدة وإدارة واحدة . أو بفضل
ضابط من الضباط الأحرار كان يوما تلميذه . جدى شخصيته لا
تنسى . يتذكر فضله رجل من جيل أنكر فضل السابقين . ما أكثر

البنات فى إدارتنا . ها هى جىوش الأوراق تجم عملنا فى غير حاجة إلى تركيز . جدى . أعمل حينا وأسترق النظر إلى حبيتى رندة حينا . أتذكر وأحلم وأحلم وأتذكر . قصة طويلة ترجع إلى أقدم عصور الحياة فى بيتنا القديم الفريد . لعبنا فى الطفولة واحد وعمرنا واحد . ماما تؤكد بغير دليل أنها أكبر منى . ويجىء البلوغ مصحوبا بالحياء والحذر . والرقيب يتدخل هادما المسرات . لكن الحب اقتحم فى حينه . فى المرحلة الثانوية . انهالت على السلم بين الطابقين المداعبات العابرة والعبارات الرمزية . وذات يوم دسست فى يدها رسالة اعتراف . كجواب منها أهدتنى قصة وفاء الجبلين . لما نبحنا فى الثانوية العامة فى عام واحد قلت لجدى أريد أن أخطب رندة سليمان جارتنا . جدى قال لى إنه على أيامه لم يكن يباح الكلام فى الخطبة قبل أن يستقل الشاب بحياته ولكنه وعد بمفاتيح بابا وماما فى الموضوع كما وعد بتأييدى . أمى قال إن آل سليمان مبارك أقرب من الأقارب ، ورنده بمنزلة بناتها ولكنها أكبر منك ! . وقال أبى إنها تماثلك فى السن إن لم تكن أكبر وتماثلك أيضا فى الفقر . أعلنت الخطبة فى يوم سعيد . وقتها كان الحلم يمكن أن يصير واقعا . منذ ألتحقنا بالعمل موظفين واجهتنا حقائق جديدة . ومرت أعوام ثلاثة فختمنا السادسة والعشرين . كنت عاشقا فأصبحت مرهقا عاجزا مسئولا . لا نجتمع اليوم للمناجاة ولكن لمناقشات توشك أن تلحقنا بالمجموعة الاقتصادية . الشقة . . الأثاث . أعباء الحياة المشتركة . لا حل لديها ولا حل لدى ولا نملك إلا الحب والاصرار . أعلنت الخطبة فى

عهد الناصرية وواجهنا الحقيقة فى عصر الانفتاح . غرقنا فى دوامة عالم مجنون . حتى فى الهجرة لا مجال لنا . بين الفلسفة والتاريخ ضعف الطالب والمطلوب . لا لزوم لنا . ما أكثر من لا لزوم لهم . كيف حاق بنا هذا الضياع؟ إنى مسئول مطارد تحاصره التساؤلات . وهى جميلة ومطلوبه وأنا قائم مثل السد فى طريق حظها . نظرات والديها الممتعضة لا تفارقنى . . أكاد أسمع ما يقال من ورائى . فوق ذلك تهيم أحلام الإصلاح . تجيء من فوق أو من تحت . بقرارات أو بانتفاضات . معجزة العلم والإنتاج . لكن ما الحل مع ما يقال عن الفساد والصوص؟ ما أفضع ما تقول الدكتوراة علياء سميح وما يقول محمود المحروقى . أين الصواب؟ . لم أشك فى كل شىء؟ . منذ تهاوى مثل الأعلى فى ٥ يونية . كيف يجد أناس سيلا سحرىا إلى الثراء الفاحش وفى زمن لا يصدق؟ . . ألا يمكن أن يحدث ذلك بلا انحراف؟ . ما سر حرصى على الاستقامة؟ ما أطمح فى هذه الساعة إلى أكثر مما يؤهلنى للزواج من رنده . دعينا إلى مقابلة مدير الإدارة أنور علام . أنا ورنده . كثيرا ما ندعى معا لتعاوننا المشترك على ترجمة اللائحة . أنه مدير لطيف المعاملة جميل الاستقبال محب للدعاية ، نحيل طويل غامق السمرة مستدير العينين ذو نظرة نافذة ، وأيضا كهل يشارف الخمسين من عمره وأعزب . وكعادته قال :

- أهلا بالعروسين!

وراح ينظر فى أوراقنا بسرعة وذكاء مبديا بعض الملاحظات .
ورد التسويده متسائلا :

متى نفرح بكما؟

إنى أعتبر أسلوبه فى التدخل فى الشئون الخاصة للموظفين سياسة وإن لم تصادف منى ارتياحا مثل نظرة عينيه . على أنى أحبيته .

- مشكلتنا حتى الآن لا حل لها .

فقال باستهانة جريئة :

- لا مشكلة بلا حل .

فقلت كالمحتج :

- وإذا به بقاطعنى :

- لا تردد أقوال العاجزين .

فملأنى الغيظ وسألته :

- ما الحل فى تصورك؟

فضحك ضحكة مستفزة وقال :

- لا تطلب الحل عند الآخرين!

رجعت إلى مكتبى وفكرة تساورنى أنه تعمد أن يظهرنى فى صورة العاجز أمام رنده . وعشت فى عيش هذه الفكرة طيلة الوقت حتى أذن موعد الانصراف . ولدى عودتنا معا إلى شارع النيل ملفوفين فى معطينا قلت لها :

- الرجل أثار أعصابى .

فقلت وهى تحبك طوق المعطف حول عنقها السمع :

- وأنا كذلك .
- إنه سمج يدعو الظرف .
- هو كذلك .
- هل تصدقين أنه يوجد حل لمشكلتنا لم نهتد إليه بعد؟
فتفكرت قليل ثم قالت :
- أملى فى الله كبير ، نحن نفكر وكأن كل شىء سيبقى على
حاله إلى الأبد!
فقلت بقلق :
- ولكن العمر يجرى يا رندة .
فقالت باسمة :
- ربما ولكن الحب ثابت !

رندة سليمان مبارك

أصعد السلم إلى الشقة ويقف هو أمام شقته كأنما ليطمئن على حتى أبلغ بابي . ودعني بقبلة فاترة شأن المهموم بأفكاره . لعنه الله على المدير ، استفزه بلا سبب . ظل طوال الوقت كئيبا مغتما . أفهم ذلك جيدا ولكن ألا يثق بي؟! . لا مساحة عندنا لمزيد من القلق . رائحة الملوخية تجول في الشقة ما أشد استجابتي لها . أبي نائم فوق مقعده؟ . ألثم جبينه فيختلج جفناه . يبتسم بحنان . هزلت وضعفت لعنة الله على الروماتزم . محتشمي بك جد حبيبي أقوى منه عشر مرات رغم أنه يكبره بعشر سنوات . صوت ماما يعلن أن السفرة جاهزة . أحب الملوخية ولكن ماما لا تعجبها شهيتي . كثير ما تقول لي :

- النحيف لا يقاوم الأمراض .

فأقول لها :

- البداية أيضا ضارة :

- عنيدة ، إن قلت يمينا قالت شمالا .

ماما بدينة وكانت كذلك من قديم . تصلى وهي قاعدة على الكنبة . من أجل ذلك يكتنفي الحذر عند تناول الطعام . ظنت

نفسها غنية بدخلها البالغ خمسة وعشرين جنيها فى الشهر . لعلها كانت على حق فى الأيام الأسطورية التى تحكى لنا، أى قيمة اليوم لدخلها ومعاش بابا ومرتبى جميعا؟! .

ركب أبى طاقم أسنانه الذى لا يستعمله إلا حين تناول الطعام وراح يأكل على مهل ويشكو شدة البرد . انضمت أختى المطلقة سناء التى تشاركنى حجرة نومى . إنها تدرس السكرتارية فى معهد خاص لتجد لها عملا فلا تكون عالة على أحد . بعد الغداء استلقيت على فراشى فعاودتنى ذكرى القبلة الفاترة . لا أحب هذا . إهانة أو ما يشبه ذلك . إذا تكرر ذلك فسوف أصارحة لا تقبلنى إلا وأنت تحبنى لا يشغلك شىء عن حبى . ماذابقى لنا سوى الحب؟ . أراعيه كأنما أنا أم وكأنما هو ابن مدلل متمرد . أه لو أمكنه أن يكون مهندسا! . كان «رمنا» من أبطال الانفتاح لا من ضحاياهم . وضحية أيضا لـ ٥ يونية واختفاء البطل المنهزم . حائر لا موقف له . حتى متى؟ . يحتقر السائقين ويؤمن بأنه خير منهم لماذا؟ . متى ينظر إلى نفسه نظرة ناقدة موضوعية؟ . لعله دورى وواجبى ولكنى أخشى على الشىء الباقى الوحيد حبنا . أحبه والحب لا عقل له . أريده بكل قوة نفسى . كيف؟ ومتى؟ أختى سناء تزوجت عن حب وقنعت بالثانوية العامة ونصيب ست البيت وشاب من ذوى الأملاك ثم لم توفق ومات الحب . الاتهامات انصبت كالعادة على الطرف الآخر ولكنها عصبية . تثور كالبركان لأنفه الأسباب فمن يحتمل ذلك؟! . من أجل ذلك تعودت على أن أحذر الغضب كما أحذر الإفراط فى الطعام . متى تتيسر تلك

السعادة الملعونة؟! . حتى متى يصمد الجمال أمام الزمن الجارف؟
لا ولم أعرف أننى نمت إلا بحلم رأيتة . قمت عصرا . . لاطفت
قطتى دقيقة . . صليت العصر والظهر معا . شكرا لماما فهى مربتى
الدينية . أما بابا! . أتذكرين محاسبتك له فى الزمان الأول؟

- بابا لم لا تصوم مثلنا؟

يقول ضاحكا :

- الصغيرة تحاسب أباهها .

- ألا تخاف الله؟ .

- الصحة يا حبيتى ، لا يغرنك مظهرى .

- والصلاة يا بابا؟

- أوه . . سأحدثك عن ذلك عندما تكبرين . .

ليس كذلك الحال فى شقة حبيبي . الجد والأب والأم يصلون
ويصومون . لا دينية أبى اليوم ساطعة مثل شيخوخته ومرضه . لم
يتفوه أبدا بكلمة مريية ولكن فى السلوك ما يكفى . فى ثورات
غضبية بسبب الدين . ربما استغفر الله إرضاء لى أو لماما كشعار
ليس إلا كسائر الشعارات الجوفاء التى تنهال علينا من أفواه
المسؤولين . زمن شعارات مقزز . حتى الراحل البطل لم يعف عن
ترديد الشعارات . وبين الشعار والحقيقة هوة سقطنا فيها ضائعين .
ولكن ما حبيبي؟ . . متدين؟ . . لا ديني؟ . . ملتزم؟ . . لا ملتزم؟
علياء سميح؟ . . محمود المحروقي؟! . . آه . . إنه حبيبي وكفى
ورزقى على الله . دائم البحث عن شىء مفقود . لو حلت

مشكلتنا لعرف لنفسه مرفأ. ينطح الصخر ويقبض على الهواء.
حجرة المعيشة تجمعنا. . أبى بمرضه وشبخوخته وإلحاده، ماما
وبدانتها المفرطة وهموم الآخرين، سناء وضيقها بوضعها
وشعورها الأليم بالغرابة، أنا ومشكلتى المزمنة. فى الظاهر
والداى قد أتما رسالتهم فأى سخرية. هاهى التحقيق الصامت
يحاصرنى. ماذا بعد خطبة طالت أحد عشر عاما؟. ألا يوجد
بصيص أمل؟.

تقول سناء بصوتها الرفيع الحاد:

- لتنتظر حتى تترمل وهى مخطوبة!

فأقول لها بصرامة:

- لا شأن لك بى.

فتقول ماما:

- ذكرية يا رندة كى لا ينسى.

- نحن نعيش همرنا كل دقيقة فلا داعى للتذكير.

ثم بمزيد من الحدة:

- إنى رشيدة، اخترت سبيلى بملء حرىتى، ولن أندم على

شىء.

ويقول أبى بضجر:

- رندة رشيدة ومسئولة عن نفسها.

فتقول ماما بحسرة:

- كم من عرسان لقطه فقدناهم .

فأقول بكبرياء :

- لست جارية معروضة فى السوق للبيع!

- أنا أمك ، فوق أى شبهة ، تزوجت بالطريقة القديمة ووفقت

والحمد لله .

- يا ماما لكل جيل طريقته ، وجيلنا فاق الجميع فى سوء حظه .

فيقول أبى باسمنا :

- جاء عصر أكل الناس فيه الكلاب والقطط والحمير والأطفال

ثم أكل بعضهم البعض!

فقلت بمرارة :

- لعلنا أسعد من عصر أكلى البشر . .

وهتف أبى مغيرا الجو :

- حسبكم . . المسلسل التلفزيونى بدأ . .

انتزعتنى المقدمة الموسيقية التى أحبها من الصراع . بقوتها

الانسيابية دعت حبيبي فهبط من الغيب وجلس إلى جانبي .

انقلبت فجأة إلى أنثى حاملة شديدة الفهم للحياة الزوجية .

وطاردت دمعة خائنة أو شكت أن تفضحنى . هل تقبل الدنيا

بدونه؟

وقالت ماما :

- يا بخت أبطال المسلسلات! . . فما أسرع أن يجدوا

لمشكلاتهم الحل السعيد!

محتشمى زايد

فى وحدتى أنتظر، أحبك الروب حول جسدى النحيل
وأسوى الطاقية قوف رأسى الأصلع، أربت على شاربى وفى
وحدتى أنتظر. ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾. جرس الباب
يرن. أفتح الباب فتدخل أم على. فى معطف سنجابى والخمار
الأبيض يحدق بوجهها القمحي الريان.

- كيف حالك يا بك؟

- نحمده يا أم على.

- الشتاء لا يريد أن يرحم.

وكامرأة يوزن وقتها بالنقود خلعت المعطف وعلقتة بمشجب
قائم غير بعيد من الباب ثم مضت إلى حجرة نوم فواز وهناء.
تبعتها كما نبه على. جلست على معقد أتابعها وهى تكنس
وتنفض وتنظف وتلمع وترتب. نشيطة خفيفة رغم امتلائها.
يخافون أن تمتد يدها إلى شىء. سوء ظن لا مبرر له وهو من
رواسب الماضى. أم على ساعتها بجنيه وتنتقل من بيت إلى بيت
كالنحلة فإيرادها يزيد على مرتباتنا جميعا مجتمعة، ولكنى أرتاح

إلى الانفراد بها . نزهة أسبوعية تنفخ في وجدانى نغمة الحلم
الغابر . الانفراد بها يتجسد فى حال يضطرب لها روتين الزمن .
ويواجه الأنا القديم الأنا الطارى فيتناجيان وبينهما فاصل الزمن
بلغتين غريبتين لا تفضيان إلى تفاهم ثم يستعير القلب من مخزونه
البائد خفقة خاطفة تعيش حياة مقدارها ثلاثون ثانية . وعندما ما
تنحنى لتعيد بسط الكليم أتصور أن

أقرصها بحنان ، مجرد تصور ، فأنى مسيطر على زمامى تماما
وهى مطمئنة من ناحيتى تماما . كأنها رجل فى النشاط والقوة
وتماسك الشخصية . ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطانا﴾ .
وأسألها متمرغا فى انفرادى بها :

- كيف حال المعلم؟

- ربنا يلفظ به .

- الأولاد؟

- هاجروا ، لم يبق إلا العبيط .

- وتضحك ثم بدورها تسألنى :

- ما أخبار صاحب عمارتكم؟

- ينس ويسكت .

- من كان يصدق أن الأرض تجن مثل بنى آدم؟!!

- الجنون أصل كل شىء يا أم على . .

ما أشد شعورى بالانفراديك . حوالينا ولا علينا يا رب ، كأيام

شارع خيرت المسقوف بالشجر، وتحت مظلة من الأفكار الحرة
المستوردة، فكرية ورتيبة المرضتان وشقاوة العجر. الحياة فصول
ولكل فصل مذاقة وطوبى لمن أحب الدنيا بما هي دنيا الله. فى
زيارة لسليمان مبارك أبى رندة قال لى :

- أغبطك على صحتك يا محتشمى .

فقلت بثقة :

- الوراثة والإيمان يا عم سليمان .

فتساءل وهو ينظر نحوى بخبث :

كيف أصدق أن مثلك يؤمن بالخزعبلات؟

- الله يهدى من يشاء .

- كأنك فى ماضى ما، ما كنت ملحدًا .

فقلت باسمًا :

- إيمان موروث، شك، إلحاد، عقلانية، لا أدرية، ثم إيمان!

فتساءل ساخرًا :

- بوفية مفتوح؟!!

- هى الحياة الكاملة . .

- أنى فخور بثباتى، راض بالعدم، عابد للحقيقة، وقد

أوصيت زينب إذا جاء الأجل ألا ينشر نعى ولا تكون جنازة ولا

مأتم ولا حداد!

- ما هو إلا نور يهبط فجأة فيبدد الظلمات .

- المسألة أن العمر تقدم بك حتى لاح لك الموت . .

حوار عقيم ، ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾ . صديقى يعيش فى كون خال وأعيش فى كون أهل بالأحباب . أستغفر الله . يا لها من زيارة زيارة أم على . ماذا يفعل المسكين علوان؟ . محرومون وسط سيرك من اللصوص . أحدثه عن زمانى لعله . رمى ببهلوان يطلق فى العطسة عشرة شعارات عقيمة . أم على تنتهى من عملها . تغسل اليدين والوجه وترتدى معطفها السنجابى وتنظر فى ساعة يدها لتعرف مستحققاتها . أسلمها النقود فتذهب قائلة :

- فتك بعافية يا بك .

- مع السلامة يا أم على ، لا تنسى الميعاد القادم .

وتعود الوحدة . أمشى فى الشقة بعد تعذر المشى فى الشارع . القرآن والأغاني ، طوبى لكم يا من اخترعتم الراديو والتليفزيون . بامية ومكرونه الغداء . حيب الله إلى العبادة وجعل قره عينى فى الطعام . أى وحدة والكون من حولى مكتظ بملايين من الأرواح؟ . أحب الحياة وأرحب بالموت فى حينه . كم من تلميذ قديم لى قد صار اليوم وزيرا . لا رهبانية فى الإسلام . ما مثلى ومثل الدنيا إلا كراكب سار فى يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها . كثيرا ما أحادث حفيدى المحبوب عن الماضى لعله من حيرته يخرج . أغريه بالقراءة وقليل ما يقرأ ،

ويستمع إلى بدهشة من يعز التصديق عليه . دعنا من علينا سميح
ومحمود المحروقي ، ألم تحملك الأحداث على إيمان بالوطن
والديموقراطية؟ . ما معنى الإصرار على التمسك ببطل منهزم
راحل؟! . كيلا تصبح الدنيا فراغا يا جدى . إنى ألفت نظرك إلى
أشياء غاية فى الجمال . يضحك ويقول لى :

- ما أريد الآن إلا شقة ومهرا مناسبا!

كيف أستطيع تجنب هموم الدنيا ومعى حفيدى المحبوب؟! . ما
أجمل كرامات الأولياء .

علوان فواز محتشمى

علمنى زمنى أن أفكر . علمنى أيضا أن أستهين بكل شىء وأن أشك فى كل شىء . ربما قرأت عن مشروع منعش للأمال وسرعان ما يكشف المفسرون عن حقيقته فلا يتمخض عن أكثر من لعبة قدرة . هل تترك السفينة للغرق؟! . هى عصابة مسلطة علينا لا أكثر ولا أقل؟! . أين الأيام الحلوة؟ . كانت توجد أيام حلوة لا شك فى ذلك . ولى أنا أيضا أيام . حين كانت الشقة عامرة بالأخوات والدفء وكانت الأعباء يسيرة . كان لأبى وأمى وجود فى البيت . كان يوجد حوار وضحك وحماس الدراسة وسطوة البطولة . إحنا الشعب . اخترناك من قلب الشعب . والحب كان باقة من الورد فى قرطاس من الأمل . فقدنا زعيمنا الأول ومطربنا الأول . يخرجنا من الهزيمة زعيم مضاد يفسد علينا لذة النصر . نصر مقابل هزيمتين . اخترناك من قلب الشعب . وتجذب حبيبتى الشص من الماء فتخرج فارغة وتنعزى فى إبهامى وتترك أثر ما زال باقيا حتى اليوم . على شاطئ النيل أمام بيتنا قلت لها إنك لا تحسنين صيد السمك ولكنك اصطدت قلبى وأسلت دمى . من الأخوة إلى الحب حدث تغير بطىء مثل قرون أوراق الشجر التى تسبق بالظهور فى أوائل الربيع ولا ترى إلا عند التأمل . أنوثة

وتورد الخدين ووشاية أعلى الفستان . باللغة حين تقول الكلمة شيئاً وتشير إلى شىء . آخر وتلاشت البراءة وحلت محلها مفاوضات وتوسلات من أجل لثمة فوق الخد أو الشفة . أطيب ثمرة فى الشجرة أخلاق وعقل وجمال . يضايقنى أحياناً أن تبدو أعقل منى . لا أنسى حزن نظرتها عندما اعترفت لها يعجزى عن اختيار القسم العلمى . حوار طويل لم يجبر على لساننا ولكنه يتربص بنا فى زاوية ما . أسرتانا سقطتا معا فى حفرة الانفتاح . شد ما يحزنى ألا يظهرى فى الملابس اللأئقة بجمالك . أى مسئولية تثقل كاهلى . قلت لها مرة فى استراحة الهرم :

- فلنتسل بحصر أعدائنا .

فدخلت اللعبة قاتلة :

- غول الانفتاح واللصوص الأماثل . .

- هل ينفعنا قتل مليون؟

فقالت ضاحكة أيضاً :

- أنك اليوم رنذة المحروقى . .

* * *

أنور علام المدير يستدعيني إلى حجرتة ويطلب إلى أن أزوره فى مسكنه فى الخامسة مساءً لإجراء مراجعة شاملة قبل إعداد الحساب الختامى . أخبرت رنذة فلم تعلق . مسكنه فى عمارة نصف جديد بالدقى تقع أمام أحد مداخل جسر ٦ أكتوبر . استقبلنى ببشاشة وهو مرتد بدلتته وقال :

- لا تغرقك فخامة الشقة فأختى تعيش معى وهى أرملة غنية . . كأثما ينفى عن نفسه الشبهات . كل فرد مهدد اليوم بالشبهات . وعملنا بهمة حتى الساعة الثامنة . فى أثناء ذلك دخلت الأرملة بالشاى تعارف بيننا وقدمها قائلًا «جولستان أختى» . من النظرة الأولى شعرت بأننى أمام امرأة يقع عمرها ما بين الأربعين والخمسين ، مقبولة المنظر ، ممتلئة فى تكوين حسن ، مثيرة رغم رزانتها واحتشامها أو ربما لرزانتها واحتشامها . لم تجلس وقالت وهى تغادرنا :

- استبق الأستاذ للعشاء معنا .

فقال أنور علام :

- هذا أمر !

أعدت لنا مائدة من الشواء والسلطات المتنوعة والخبز والزيتون ثم مهلبية وتفاح . وسمعت أنور علام يقول ونحن نتناول عشاءنا :
- أنا وكيل أعمالها فقد ورثت عن زوجها عمارتين وشهادات استثمار .

لفت نظرى تعريفه لى بأملاتها فسرحت فى أكثر من ظن .
وراح يحكى لها عن مشكلة خطبتي بإشفاق .

- هذه حال جيل بأسره .

فقال الرجل :

- ومما يزيد المشكلة تعقيدا أن علوان من أصحاب المبادئ!

فقال بإعجاب :

- جميل أن أسمع ذلك ، الأخلاق أهم شىء فى الدنيا .
نبرتها لا تدع مجالاً للشك فى صدقها . إنى أجدها مثيرة
للغاية . وأنى مخزن بارود عند أى إثارة . معاناتى فى هذه الناحية
تستحق الرثاء . وقال أنور :

- أختى كاملة فى كل شىء إلا شيئاً واحداً لا أوافقها عليه هو
إعراضها عن أكثر من فرصة زواج طيب . .

فقال بهدوء :

- لست سلعة وليسوا رجالات . .

فقال أنور علام :

- ثراء المرأة قيمة مشروعة ولا عيب على الرجل إذا أولاهما
تستحقه بالإضافة إلى المزايا الأخرى .

فقال السيدة جولستان :

- لا رجل جدير بالثقة فى هذا الزمان .

وملت إلى تغيير مجرى الحديث فسألت مديرى :

- معذرة يا سيدى لم لم تتزوج حتى اليوم؟!

فقال بغموض :

- أسباب كثيرة .

ولم يذكر سبباً واحداً فقالت جولستان :

- إنه مخطيء، وهو قادر على الزواج .
وراح يسألنى عن أسرتى وأسرة رنده وأنا أجيبه بصدق وإيجاز
حتى قال :
- رنده فتاة ممتازة ولكن الزمن يسرقها .
طعنة وأى طعنة! . مقصودة أم جاءت عفواً الخاطر؟! .
على أى حال أفسدت على السهرة . ولم يخفف من حدتها
قول جولستان :
- الحب هو العمر الحقيقى . .
وغادرت المسكن مشحونا بالسخط على الرجل والإثارة من
ناحية شقيقته . .